بيانُ الحِكْمة مِن

افتتاح بعض سُوَر القرآن الكريم بالحروف

بشكلٍ مُستوفىٰ

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان)
من الصفحة ١١٠ حتى الصفحة ١٢٣

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناءً على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم: كتب الإمام
تحميل كتب الإمام وتحميل أبحاث مختارة

مدير الموقع:
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

وإنَّ هذا القرآن الكريم هو كلام رب العالمين ، الخالق الخلاق ، العليم الحكيم ، الذيَ لا انتهاء لعلمه ولا لحكمته ، وقد تكلَّم سبحانه بهذا الكلام القرآني عن علمه وحكمته ، وأنزله علىٰ رسوله سيدنا محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم كما قال سبحانه: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾، وأنزله موصوفاً بالإعجاز ، فكيف يُحاط بوجوه بلاغته ، وإبداعه ، وهو كلام الله تعالىٰ المعجز ، الذي أعجز البلغاء والحكماء ، وأولي الأنظار والآراء ، مع التحدِّي لهم ، فلم يستطيعوا معارضته ، لأنَّ كلامه سبحانه فوق البلاغة التي بلغوها ، وفوق العلم الذي وصلوا إليه ، فإن علم الله تعالىٰ إليه المنتهىٰ وهو لا يتناهىٰ ، وحكمته فوق كل حكمة ، قال تعالىٰ: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

ولذلك افتتح كثيراً من السور بفواتح حرفيَّة ، مجابهاً للعالَم بالتحدِّي ، ومعلناً لهم عجزهم عن مثله ، بأن أدخلهم تحت قنطرة العجز والإقرار بإعجاز القرآن؛ من قبل أن يدخلوا في ظلال آياته التالية لتلك الآية المركبة من الحروف المقطعة المفتتح بها .

وبيان ذلك: أَنَّ افتتاح بعض السور القرآنية ببعض الحروف فيه إعلان للعالم كله ، وإعلام للفصحاء والحكماء والبلغاء ، بأن هذا القرآن الكريم هو كلام مركَّب من مثل هذه الحروف: ألف ، لام ، ميم ، ك ، هـ ، ي ، ع ، ص ، إلىٰ ما هنالك ، فإن كنتم ترون أيها البلغاء والفصحاء أنَّ هذا القرآن هو كلام محمد بن عبد الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، ومن تركيبه ، أو أنه تعلَّمه من بشر ، أو

هو من جنس كلام البشر ، فتعالوا فانسجوا وألِّفوا وركِّبوا من هذه الحروف مثل هذا القرآن ، ولكنكم ما تستطيعون ، فإن لم تفعلوا ذلك وعجزتُم ، فيجب عليكم أن تعلموا أن هذا القرآن الكريم هو كلام رب العالمين ، أنزله علىٰ سيد ولد آدم أجمعين صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

هذا ومن المعلوم أن الحروف في لغة العرب هي نوعان: حروف المباني ، وحروف المعاني.

فالأولى تُبنىٰ منها الكلمات ، ومن الكلمات تؤلَّف الجُمَل.

وأما حروف المعاني فهي تدل علىٰ معانٍ وُضعتْ لها في أصل اللغة ، وهي داخلة في جمل الكلام: ففي: للظرفية ، ومن: للتبعيض أو للابتداء ، ونحو ذلك ، والباء: للإلصاق ، وغير ذلك.

ثم إن قراءة حروف المباني التي تبنىٰ منها الكلمات لها طريقان:

الأولىٰ: أن تقرأ بحقيقتها وهذا هو التهجِّي كقولك: أ، ل، م.

والثانية: أن تقرأ بأسمائها فيقال: ألف ، لام ، ميم. وتكون حقيقة الحرف هي: أول حرف من اسمه.

فجاء القرآن الكريم مفتتحاً سُوراً منه ببعض حروف المباني ، فقرأها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم بأسمائها ، وعلّمها للناس ، فمن أين علم ذلك في حين أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

قد نشأ أميّاً لم يقرأ كُتباً ، ولم يأخذ من معلِّم ، ولا من أهل الكتاب.

نعم إن ذلك بتعليم رب العالمين وتلقينه إياه ، فهو سبحانه قال له: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ أي: اقرأ باسم ربك لا بعلمك ولا دراستك ، فإنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لَيسَ له عِلمٌ بذلك سابق ، ولا دراسة سابقة ، بل هو النبي الأمي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

فقرأ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تلك الحروف بأسمائها كما أنزلت عليه ، وعلَّمَها للناس ، وَبيَّن فضل تلاوتها ، قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مَنْ قرأ حرفاً من كتاب الله تعالىٰ فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف».

فذكر صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم حروف القرآن بأسمائها.

علىٰ أنَّ افتتاح السور بتلك الحروف فيه حكمة ثالثة ألا وهي: التنبيه علىٰ شرف هذه الحروف وعظيم قدرها ، إذ هي مباني كلامه سبحانه ، وكتبه التي أنزلها علىٰ رسله صلوات الله عليهم ، ولهذه الكلمات الإلٰهية معانٍ عُظمىٰ ، ودلالات كُبرى ، إنها تدل علىٰ معرفة الله تعالىٰ وصفاته ، وكمالاته ، ووحدانيته ، وجماله وجلاله ، وعظيم سلطانه ، كما أنها تُعرفنا بعجائب مبدعاته ، وأصناف مخلوقاته ، فحُقَّ لها أن يفتتح بها ويقسم بها.

وكما أَنَّ الله تعالىٰ افتتح بعض السور من القرآن الكريم بآياته الكونية: كالشمس ، والقمر ، والفجر ، والضحىٰ ، والليل ،

والسماء ذات البروج ، مقسماً بذلك لما فيها من الدلالات علىٰ وجود الله تعالىٰ ووحدانيته ، وكمال أسمائه وصفاته ، وعظمة قدرته ، وسعة علمه وحكمته .

فقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ إلىٰ ما هنالك .

كذلك أيضاً افتتح بعض السُّور القرآنية بهذه الحروف المتلوَّة ؛ فإنها آيات كبرىٰ ، تدل علىٰ وجود الله تعالىٰ ، ووحدانيته وصفاته ، وكمالاته ، وقدرته .

بل هي أدلُّ من تلك الآيات الكونية وأعظم ، لأنها تحمل من العلوم الإلٰهية والمعاني القدسية الربَّانية ما لا تحمله الشمس ولا القمر ، ولا السماء ، ولا الأرض ، ولا الجبال ، فهي أحقّ أن يفتتح بها .

قال الله تعالىٰ : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ الآية .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أي : لكان هذا القرآن .

وإن هذه الحروف لتحمل روحاً من أمر الله تعالىٰ ، يُحيي به القلوب والأرواح ، قال تعالىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ الآية .

فما أقوىٰ هذه الحروف ، وما أعظمها وما أشرفها ، لقد حَمَلَتْ

رسالات رب العالمين ، وكلامه الحق المبين ، الذي فيه بيان أسمائه وصفاته تعالىٰ ، وأفعاله ، وأوامره ونواهيه ، وفيها الخبر عن وعده ووعيده ، ليوصِّل ذلك إلىٰ عباده ، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ، وبذلك يهتدون إلىٰ معرفة ربهم سبحانه ، ومعرفة حقوقه عليهم ، ويعرفون الحقوق والواجبات فيما بينهم ، ومعرفة طريق السعادة ، ومعرفة ما ينفعهم وما يضرهم ، وما فيه خيرهم وشرهم ، فحقيق أن تفتتح بها السور القرآنية.

فهذه حِكَمٌ ثلاث ذكرتها للقارىء ، تتعلَّق بافتتاح بعض السُّور ببعض الحروف القرآنية:

١ ـ حكمة التحدي بها.

٢ ـ وحكمة الحجَّة والشهادة بأن محمداً رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، الذي علمه الله تعالىٰ تلاوتها بأسمائها ، مع أنه أميٌّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، فإن ذلك عَلَم من أعلام نبوته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم.

٣ ـ وحكمة التنبيه إلىٰ عظمة هذه الحروف وقوتها ، وأنها آيات الله الكبرىٰ الدالة عليه سبحانه. كما تقدم تفصيله.

وهناك حِكَم وحِكَم وليس موضع تفصيلها هنا ، وأرجو الله تعالىٰ أن يوفقني لبسط الكلام وتفصيله حولها في موضعٍ آخر ـ آمين.

ولكن أريد التنبيه كلَّ التنبيه ، إلىٰ أن كل حرف من هذه الحروف التي افتتحت بها السور هو مقصود بذاته ، وأن كلَّ حرفٍ

منها يدل علىٰ معنىٰ ، وأن كل حرف منها لله تعالىٰ به مراد.

فليستْ هذه الحروف المفتتح بها من باب السَرْد ، أو العدِّ ، وليستْ من باب صفِّ حروف كحروف الهجاء ، ليس لها معنىٰ ، أو ليس لله تعالىٰ بها مراد ، أو لا تدلُّ علىٰ شيء؛ وإنما أريدَ بها حرفيتها المفردة دون معنىٰ آخر ، كحروف الهجاء ؛ التي تقرأ هكذا: كَلاَّ وَلاَ ، كَما يتوهم ذلك البعض ، بحجة أن المقصود منها التحدي لا غير ، هذا فهم خاطىء ، ولم يقل بذلك أحد من العلماء المتقدمين ، ولا المفسرين ، وإنَّما وَهْمٌ سرىٰ لِبعض أدعياء الثقافة في العصر الحاضر.

بل اتفق العلماء رحمهم الله تعالىٰ ، علىٰ أن هذه الحروف ـ المفتتح بها بعض السور ـ لله تعالىٰ بها مراد ، ولها معانٍ مقصودة ، ولولا ذلك لكانتْ من باب الحشو ، أو الزيادة ، أو الفضول ، والقرآن الكريم منزَّه عن ذلك ، فإنه معجز ، وأعلن إعجازه ، وأعلن التحدي ، وإن الحشوَ والزيادة ينافيان الإعجاز والإيجاز ، بل يتنافيان مع البلاغة العربيَّة بوجهٍ عامّ.

وهذا أمر يجب اعتقاده ، وهو أن القرآن الكريم لا حشوَ فيه ولا زيادة ولا فضول ، بل إن جميعه بُجُمله وكلماته وحروفه كل ذلك هو عمدة وأصول ، وأن هذه الحروف المفتتح بها السور لله تعالىٰ فيها مراد ، وله فيها معانٍ مرادة ، وله فيها حِكَم كبيرة وكثيرة.

وكيف يصح أن تكون تلك الحروف المفتتح بها السور؛ لاغية لا مراد منها ولا مقصود بها ، بل هي حشو وزيادة ، كيف يصح

هذا؛ وقد بَـيَّنَ سيدنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم الذي ما ينطق عن الهوى ، أنَّ تلك الحروف هي من كلام الله تعالىٰ وآياته ، وأن قارئها وحدها يؤجر عليها كما يؤجر علىٰ تلاوة غيرها من آيات القرآن الكريم أجراً مضاعفاً.

فقد قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم: «مَنْ قَرأ حرفاً من كتاب الله تعالىٰ فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف ، ولكن: ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف» ، والمعنىٰ أن من قرأ ﴿الٓمٓ﴾ وحدها فقد ظفر بثلاثين حسنة.

فقد نصَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم علىٰ فضل تلاوة الفواتح من الحروف ، ليزيل الأوهام ، ويصحح الأفهام ، وليبين للناس أنها عمدة وأصول ، لا زيادة ولا فضول ، ولها معان ، ولله تعالىٰ فيها مراد.

إذاً ما هو المراد بها المقصود منها؟

فإن قيل: المراد المقصود منها هو التحدِّي فحسْب وليس وراء ذلك مرمىٰ ولا مراد آخر.

يقال: إذا كان المقصود هو التحدي فحسب ، فإنه يُكتفىٰ حينئذٍ بافتتاح سورةٍ واحدةٍ بالحروف ، وتكون المفتتح بها هي أول سورة نَزَلَت ، وبذلك يحصل التحدي بالنسبة لتلك السورة ، وبالنسبة لبقية السُّوَر بعدها.

أو تفتتح جميع السور بمثل هذه الحروف ، باعتبار أن كل سورة من القرآن يتحدَّىٰ بها ولو قصيرة ، كسورة: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ ونحوها كما هو معلوم.

فلِمَ خُصِّصَتْ بعض السور دون بعض بافتتاحها بتلك الحروف ، ولِمَ افتتحت هذه السورة بحروف غير الحروف التي افتتحت بها تلك السورة الأخرى؟ ، ولِمَ افتتحت بعض السور بحرف مثل: ﴿قٓ﴾ ، و﴿نٓ﴾ ، وبعض السور بحرفين مثل: ﴿حمٓ﴾ ، وبعضها بثلاثة أحرف مثل: ﴿الٓمٓ﴾ ، وبعضها بأربعة أحرف مثل: ﴿الٓمٓرٓ﴾ ، وبعضها بخمسة أحرف مثل: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾.

ولِمَ افتتحت سورة البقرة بـ﴿الٓمٓ﴾ وغيرها بـ﴿الٓمٓرٓ﴾ وغيرها بـ﴿حمٓ﴾ ، وهكذا فإن تخصيص بعض السور بحروفٍ دون غيرها لا بدَّ له من وجه التخصيص.

وإن تخصيص بعض السور بحرفٍ ، وثمَّة بحرفين ، وتلك بثلاثة ، وهكذا؛ لا بدَّ وأن له وجهاً مخصصاً وسبباً مميزاً ، تترتب حكم بالغة عليه.

قال تعالىٰ: ﴿الٓرٓ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

فهذا الكتاب القرآني محكم كله ، حصين رصين ، لا خَلَلَ فيه ولا حَشْوَ ولا فضول.

علىٰ أنَّ في افتتاح بعض السُّور القرآنية دون بعض بشطر عدد جملة الحروف من حيث الذات والصفات ، وتخصيصها بالافتتاح دون بقية الشطر الآخر ، إنَّ في ذلك وجوهاً من الحكم تقتضي ذلك ، فإن كلام الحكيم العليم منزه عن العبث.

قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

ومن هنا يعلم اللبيب يقيناً: أن لهذه الحروف معانِيَ سامية، وأن لله تعالىٰ بها مراداً.

إذاً ما هو المعنىٰ المراد؟

نعم جرىٰ كثير من العلماء رحمهم الله تعالىٰ عند تفسير هذه الحروف، علىٰ القول بأن الله تعالىٰ أعلم بمراده منها.

وهذا إقرار صريح منهم بأن لها معانِيَ مقصودة، وأن لله تعالىٰ فيها مراداً، أيْ أَنَّ لها معنىً أراده الله تعالىٰ بها، ولكن لم يجزموا بتعيينه.

وقد ذهب كثير من العلماء المتقدمين، وكثير من المفسرين رحمهم الله تعالىٰ، إلىٰ البحث في المعاني المرادة بفواتح السُّوَر، وكانتْ نتيجة بحثهم وتتبعهم لأقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم: أنَّ كل حرف من تلك الحروف يُشير إلىٰ اسم من أسماء الله تعالىٰ، أو اسم من أسماء النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم، حسبَ المناسبة لما وراءها من الآيات الكريمة، وذلك من باب إطلاق الحرف من الكلمة وإرادة الكلمة، وقد نقلوا ذلك عن كثير من الصحابة رضي الله عنهم، وعن التابعين مِنْ بَعدهم، نُقولاً ثابتة، وهذا هو الحق كما يتضح ذلك فيما يلي.

فَإن قَال قائل: إن القرآن الكريم نزل بلسان عربيٍّ مبين، كما قال تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾.

كما أن فهمه ينبغي أن يكون علىٰ الأسلوب العربي المبين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: لعلكم تعقلون

معانيه علىٰ منهاج اللسان العربي المبين.

فهل جاء في لسان العرب الفصحاء أنهم يطلقون الحرف الواحد ويريدون به الكلمة كلها؟.

فالجواب عن ذلك أن يقال:

أولاً: لقد جاء في فصيح لسان العرب أنهم يطلقون الحرف ويريدون الكلمة بتمامها ، وأكثر ما يكون ذلك بين الأحباب ، أو بين أولي الأفهام والألباب.

فقد نقل كبارٌ من أهل العلم والمعرفة في التفسير ولغة العرب ، شواهد من كلام العرب الفصحاء وأشعارها ، تدل علىٰ أن العرب كانوا كثيراً ما يَسْتغنون بذكر الحرف من الكلمة عن ذكرها بتمامها ، ومن ذلك قول الشاعر:

جـاريـة قـد وَعَـدَتْنـي أن تـا تدهن رأسي ، أو تفلِّي أو تا

أراد: أَنْ تَأتي وتدهن رأسه ، أو تُفَلِّي ، أو تمسح.

وقال الآخر:

نـادوهـم ألا الجمـوا ألا تـا قـالـوا جميعـاً كلهـم ألا فـا

أراد: ألا تركبون ، قالوا: ألا فاركبوا.

وقال الآخر:

قلتْ لها: قِفي فقالت: قاف لا تحسبن أنا نسينا الإيجاف

أراد: قالت: وقفت.

وقال زهير:

بـالخيـر خيـرات وإن شـراً فَـا ولا أُريـد الشـرَّ إلا أن تـا

أراد: وإن شرّاً فشرّ؛ إلا أن تشاء.

وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم: «مَنْ أعان علىٰ قتل مؤمن بشطر كلمة: لقي الله مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله».

ورواه البيهقي من طريق أخرىٰ، ورواه الأصبهاني وزاد فيه: قال سفيان بن عيينة: هو أن يقول: أُقْ، يعني لا يتم كلمة اقتل، بل يذكر بعضها مكتفياً عن إتمامها.

وقد كثر استعمال ذلك في فصيح لغة العرب، كما نصَّ عليه الإمام الزجَّاج وغيره من أساطين اللغة العربية، ومَنْ أراد التوسع في هذا الباب فعليه بمطولات كتب اللغة العربية، ومطولات التفاسير المتقدمة.

ثانياً: لقد صحَّ عن جماعة من أكابر الصحابة ومنهم أمير المؤمنين علي رضيَ الله عنه، وابن عباس حبر الأمة، وأبيٍّ بن كعب وابن مسعود وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، كما صح عن كثير من التابعين ومَنْ بعدهم، أن هذه الحروف التي افتتحت بها السور كلٌّ حرفٍ منها دالٌّ علىٰ كلمة ـ أي: اسم ـ حذف أكثرها ودلَّ هذا المنطوق به علىٰ ذلك المحذوف، وذكروا تلك الأسماء المومىٰ إليها، ومن المعلوم قطعاً أن الصحابة رضي الله عنهم هم أعلم من غيرهم بكتاب الله تعالىٰ، ومن البعيد كل البُعد أن يجهلوا المراد بتلك الحروف، بل كانوا علىٰ علمٍ بالمراد منها بسبب جَودة

فهمهم ، وسلامة فطرتهم وطبعهم ، وأصالتهم وَمُكْنَتِهِم في لغة العرب.

ولو فُرِضَ أنهم كانوا لا يعلمونها لسألوا عنها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، لأنها لم تأت في سورةٍ واحدةٍ من القرآن الكريم ، بل افتتحت بها سور متعددة كثيرة ، فكيف يسكتون عنها علىٰ جهل بها دون أن يفهموا المراد بها ، وهم يتلونها آناء الليل وأطراف النهار؟!!.

وكيف يَتصوَّر العقل أنهم كانوا لا يعرفون المعنيَّ بها ، وقد كانوا إذا اعتراهم إشكال حول آية أو كلمة من كتاب الله تعالىٰ ، سألوا عن ذلك رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، كما جاء ذلك في كثير من الأحاديث.

فلو كانوا لا يعرفون شيئاً من معاني تلك الحروف ومراميها لسألوا عن ذلك رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم أيضاً.

بل كيف يَتصوَّر العقل أنهم لا يعرفون المعنيَّ بها ، في حين أن المنهاج الدراسيَّ الذي سار عليه الصحابة رضي الله عنهم ، في تعلمهم القرآن ودراسته ، كان يوصلهم إلىٰ العلم بمعاني آيات الله وفهم كلماته.

فقد روىٰ الإمام أحمد وغيره ، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا مَنْ كان يُقرئنا ـ أي: يعلمنا القرآن ـ من أصحاب النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم: أنهم كانوا يقترئون من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم عَشْرَ آياتٍ ، فلا يأخذون من العشر الأخرىٰ

حتى يعلموا ما في هذه العَشْر من العلم والعمل . قالوا: فعلمنا العلمَ والعمل.

ومن هنا تعلَم أَنَّ أقوال الصحابة حولَ الحروف المفتتح بها السور ، لها حكم المرفوع:

أولاً: لأن منهاج تعلمهم يقتضي ذلك ، ثانياً: لأنه لا مجال لتدخل الرأي في ذلك ـ كما هو معلوم عند المحدثين.

فالقول الصواب ـ والله تعالىٰ أعلم ـ: إن هذه الحروف التي افتتحت بها السور ، هي تشير إلىٰ أسماء الله تعالىٰ ، ومنها ما يشير إلىٰ أسماء النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم المنزل عليه أو صفاته.

وقد تختلف أقوال السلف في تعيين ذلك الاسم المومى إليه بذلك الحرف ، كما اختلفت أقوالهم في معاني الآية الواحدة من كتاب الله تعالىٰ. اختلاف تنوّع لا تضادّ.

ولكن لا بدَّ من مناسبةٍ بين تلك الأسماء المشار إليها وبين آيات السورة التي تليها ، يَفهم ذلك من رزقه الله تعالىٰ الفهم والعلم بكتابه جلَّ وعزَّ ، كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لما سئل: هل خصَّكم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم بشيء من القرآن من دون الناس؟

فقال: (لا) ، ثمَّ قال في جوابه: (إلاَّ كتاب الله ، وإلا فهماً يؤتيه الله تعالىٰ عبداً في كتابه). اهـ.

فنسأل الله تعالىٰ أن يرزقنا ذلك الفهم المحمديَّ ـ آمين.

وقد قال الإمام الغزالي رضي الله عنه: فواتح السور فيها أسرار إلٰهية ، يَفهمها مَنْ فَهَّمه الله تعالىٰ. اهـ.

فهذه الحروف المفتتح بها السور لها معان ، ولله تعالىٰ فيها مراد ، وجاء التحدي بها لزوماً ، كما أنَّ بقية الآيات القرآنية لها معانٍ ، وفيها بيان الأحكام الشرعية والكونية ، والوعد والوعيد ، والقصص لأخبار القُرون والأجيال السابقة ، وغير ذلك ، ومع هذا فهي متَّصفة بالإعجاز ، وفيها التحدي لجميع العالَم.

هذا وإن البحثَ في بيان تعيين تلك الأسماء المشار إليها بتلك الحروف التي افتتحت بها السور ، والبحث في بيان مناسبة تلك الأسماء لتلك السور ، وبيان بقية وجوه الحِكَم في افتتاح تلك السور القرآنية بتلك الحروف ، وما في ذلك من أسرار ومعارف ، ليس موضع بحثها هنا ، وأرجو الله تعالىٰ أن يوفِّقني لتفصيل ذلك حين أتكلم حول علوم القرآن الكريم إن شاء الله تعالىٰ ، وأمَّا كلامي الآن في ذلك فهو كعابر سبيل لمناسبةٍ ما.